مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (23) العدد (16)2001
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research-Arts and Humanities Science Series Vol (23) No (16) 2001

مفهوم الكلمة في الدرس اللغوي

الدكتور محمد إسماعيل بصل*

سامر بحره**

(قبل للنشر في 2001/10/11)

□ الملخّص □

إذا كانت المصطلحات هي المفاتيح الأكثر أهمية في تشكيل منظومة الأفكار المتعلقة بعلم ما، فإن تحديد المفاهيم التي تعبر عنها هذه المصطلحات هو أمر لا يجوز للباحث أن يتجاهله إذا أراد لدراسته أن توسم بالعلمية .

ومصطلح (الكلمة) هو من المصطلحات التي يستخدمها كثير من الباحثين من دون الالتفات إلى تحديد المفهوم الذي ينطوي عليه، وكأن هذا المصطلح لما اشتهر وكثر تكراره في الكتب وعلى الألسنة صار ذا معنى واضح ومحدد لا يحتاج معه إلى البحث عن حدٍ له .

والحق أن مفهوم (الكلمة) هو أبعد ما يكون عن مثل هذا الوضوح الخدّاع، ويكاد معظم الذين درسوا (الكلمة)– من حيث هي وحدة لغوية – يجمعون على صعوبة تقديم تعريف جامع مانع لها، يصدق على (الكلمة) في اللغات جميعها

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سوريا.

** طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سوريا.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (23) العدد (16)2001

Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research-Arts and Humanities Science Series Vol (23) No (16) 2001

The Concept of " Word " in the Linguistic Study

Dr. Mohammad Bassal*
Samer Bahra**

(Accepted 11/10/2001)

□ ABSTRACT □

Since terminology was the most significant key in forming the principles of a certain science, it should be something inevitable to the researcher to identify the concepts expressed by this terminology if he wants to a chieve a scientific study.

The" Word " is one of the terminology used by many researchers without identifying its technical meaning, as if it gained a definite clear-cut meaning by repitition in spoken and written language so that it needs no definition.

Yet, the concept of " Word" is not clear as it deceptively shows And most of those who studied the" Word" as a linguistic unit admitted how difficult it is to offer a universal exclusive definition applicable to the " Word " in all languages.

***Ass. Professor at Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia Syria.**
****** Ph.D.student at Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia Syria.**

ظلت الكلمة زمناً طويلاً الوحدة الأساسية في الدراسة الصرفية، لكنها تنازلت عن مكانتها تلك لوحدة صرفية اخرى أصبحت أساس التحليل الصرفي وهي (المورفيم)[1] الذي وجد فيه اللغويون ضالتهم عندما كانوا يبحثون عن أصغر وحدة لغوية ذات معنى مستقل ، ولم يكن مفهوم الكلمة كما هو شائع بين عامة الناس أو كان انحدر إليهم من الدراسة اللغوية التقليدية يوصلهم إلى ما يبتغون[2] .

ولكن تبقى الكلمة مع صعوبة تحديد مفهومها – وحدة تفرض ذاتها على الفكر وشيئاً مركزياً في آلية اللغة إذ إن لدى المتكلمين إدراكاً حدسياً تجاه الكلمات في لغتهم الأم سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة، أكبر بكثير من إدراكهم لما يملكون من عناصر نحوية وبنيوية أخرى[3] ، ثم إن الكلمة وأجزاءها ذات المعنى (المورفيمات) تمثل موضوع الدراسة الصرفية، فحددوها هي الحدود العليا للأبنية في هذه الدراسة من حيث كانت البناء الذي يتركب من مورفيمات يجتمع بعضها إلى بعض في توزيع مختلف من لغة إلى أخرى .

فما الكلمة ؟

لقد قدمت محاولات كثيرة في سبيل تحديد مفهومها ولكن لا يكاد واحد منها ينجو من نقد يأتيه من وجه أو آخر .

فقد اهتم النحاة العرب بتحديد مفهومها الاصطلاحي، وإن كان إمامهم (سيبويه) قد اكتفى في تعريفه لها بتقسيمها إلى اسم، وفعل، وحرف، والتمثيل لكل قسم بأمثلة متنوعة[4] .

ولكن النحاة المتأخرين خرجوا على الاكتفاء في تعريف (الكلمة) بالتمثيل لها، فهي عند الأشموني، وابن هشام، " قول مفرد "[5] ويعترض على هذا التعريف بأن "الإفراد في الكلام المتصل لا يمكن تصوره إلا بالسكتات أو الوقفات على مجموعات صوتيه من هذا الكلام. ومسألة السكتات أو الوقفات مرجعها إلى الناطق بالكلام، فهو إن شاء وقف بعد حرفين أو ثلاثة أو عشرة أو أكثر ويتكون نطقه حينئذ من مجموعات صوتية تختلف طولاً وقصراً،منها مالا ينطبق على الكلمة الواحدة،ومنها ما قد ينطبق على كلمتين أو أكثر" [6]

وإذا كان الإفراد في التعريف السابق هو للفظ الكلمة، فإنه في تعريفي ابن عقيل والزمخشري إفراد لمعناها، فهي عند الأول، "اللفظ الموضوع لمعنى مفرد"[7] وعند الثاني :" اللفظة الدالة على معنى مفرد "[8] ويعترض على هذين التعريفين أيضاً بوجود ألفاظ لها معان مفردة، وليست مع ذلك كلمات، ومثال ذلك كثير من المورفيمات ذات التحقق الصوتي، فلا أحد يشك في أن الياء التي تشكل سابقة (prefix) في الفعل (يضرب) وهي علامة على مورفيم المضارعة، فلها إذا معنى وظيفي مفرد، أقول : لا أحد يشك في أن هذه الياء ليست كلمة .

على أن ثمة تعريفات تبتعد كثيراً عن القواعد اللغوية العلمية التي لا تدخل في حسبانها إلا ما كان له تعبير شكلي من الأقسام العقلية، فالسيوطي يحد الكلمة بأنها: "قول مفيد مستقل، وكذا منوي معه"[9] وهو تعريف لا يفرق بين وجود الكلمة وعدمها وهذا يؤدي إلى الخلط في التفكير [10].

أما المحدثون فقد حاولوا أن ينأوا بتعريفاتهم لمصطلح (الكلمة) عن مثل هذه الانتقادات، معتمدين في ذلك على أسسُ مختلفة، لكنها تردّ في الغالب، إلى أساسي الصوت أو الوحدة الصوتية، والمعنى .

ومن ذلك تعريف للعالم الأمريكي سابير (Sapir) الذي يرى أن الكلمة علامة خارجية دالة على فكرة لمفهوم مفرد أو لصورة ما[11]. وهي عند أولمان "أصغر وحدة ذات معنى للكلام واللغة "[12] ومثله تعريف ميبه (Meillet) لها فهي عنده "ربط معنى ما بمجموعة ما من الأصوات صالحة لاستعمال جراما طيقي ما "[13] وإلى مثل ذلك تذهب بعض المعاجم اللغوية[14].

ومن الواضح أن هذه التعريفات لا تبتعد كثيراً عن تعريفي ابن عقيل والزمخشري السابقين، وبطالها من النقد ما طالهما، بل إن الاستعمال الجراماطيقي، الذي يتحدث عنه (ميبه) يصلح، بالإضافة إلى المورفيم للجمل وأجزائها أيضاً

ويقدم سابير تعريفاً آخر فيقول : "الكلمة"أصغر جزء من أجزاء المعنى التام المستقل الذي تتحلل إليه الجملة "[15].

وفكرة الاستقلال تفضي بنا إلى اشهر التعريفات الحديثة وهو تعريف اللغوي الأمريكي بلومفيلد

(Bloomfield): "الكلمة أصغر صيغة حرة" [16].

ويبدو لي أن التعريف الأخير هو الأدنى إلى القبول والأشمل عند التطبيق، فهو يجمع إلى اختصار العبارة، اعتماده على معايير شكلية لا دلالية أو عقلية فلسفية، وقربه من الإحاطة بحدود الكلمة اللغوية، فقوله:"صيغة" احتراز من كل شكل صوتي لا يحمل معنى محدداً، فالصيغة كما يعرفها بلومفيلد هي "شكل لغوي ذو معنى محدد مصطلح عليه في مجتمع ما"[17] .

ووصفه للصيغة بأنها "حرة" فيه إخراج للمورفيمات المقيدة (bound morphemes) التي تعد وحدات صغرى للمعنى ولكنها لا تظهر مستقلة في الكلام بل تكون أبداً جزءاً من كلمة .

أما قوله "أصغر صيغة" ففيه احتراز من الصيغ التي تحوي في مكوناتها صيغتين حرتين أو اكثر مما يصدق عليه أنه جمل أو أشباه جمل .

ومع ذلك كان هذا التعريف محل مراجعة وانتقاد لدى بعض الباحثين، فقد توقف(ستيفن أولمان) عند الحرية التي وصفت بها الكلمة ، ورأى فيها مشكلة يمكن تناولها من جوانب صوتية وصرفية ونحوية ودلالية[18] .

أما من الجانب الصوتي فإن الكلمة لا توصف باستقلال أو حرية لما تتعرض له من عمليات صوتية في السياق تجعلها تبدو مع الكلمات المجاورة كتلة صوتية واحدة، دونما فاصل يهدي إلى حدودها في الغالب ،ومثال على ذلك ما يحدث في ظاهرة (الإدغام) حيث يفنى الصوت الذي تنتهي به الكلمة في الصوت الذي تبدأ به الكلمة التالية إذا تحققت شروط الإدغام، كإدغام الباء في الميم في قوله تعالى: (يا بني اركب معنا) "هود42".

فالكلمات لا تكاد معالمها تتميز وتستقل بأجزائها في وصل الكلام "بمعنى أن كثيراً من المقاطع، بل ومن مجاميع المقاطع، لا يعرف ما إذا كنا نعدها كلمات مستقلة أو أن نصلها بالكلمات المجاورة لها"[19] فليست الكلمة وحدة صوتية للكلام المتصل ومن أجل ذلك كان تحديد الكلمة في السياق يتطلب تحليل عناصرها من وجهة نظر نحوية والاستعانة بالدلالات التي تتضمنها الجملة أو العبارة [20].

إن هذا الكلام دقيق في ذاته، وقد ألمح، إلى مثله بلومفيلد نفسه، عندما أكد أن الكلمة" ليست، بصفة أولية وحدة صوتية إذ إننا لا نحدد أجزاء كلامنا التي يمكن أن تنطق حرةً بسكتات أو ملامح صوتية أخرى، مع أن اللغات المختلفة تقدم تمييزاً صوتياً لوحدة الكلمة بطرائق متنوعة"[21] ومن هذه الطرائق التي تحدث عنها بلومفيلد إيقاع النبر (Strees) على موضع ثابت في الكلمات، فهذا قد يرشدنا إلى بداية الكلمة ونهايتها، ومنها أيضا قواعد تشكيل الأصوات التي تمنع أحياناً ظهور مجموعات معينة من الصوامت في موقع ما من الكلمة ، فالإنجليزية، مثلاً، تمنع تتابع الصامتين(KN) أو (GN) في بداية الكلمة صوتياً لا كتابياً[22] ولكن الحرية التي تحدث عنها بلومفيلد في تعريفه للكلمة هي حرية متحققة إما بالفعل حين تنطق مستقلة محدودة بسكتتين، وإما بالقوة، وهذا ما دفع (بالمر) في شرحه تعريف بلومفيلد إلى القول" إنها أصغر وحدة كلامية قادرة على القيام بدور نطق تام"[23].

لقد نظر(أولمان)، إلى تعريف بلومفيلد للكلمة من هذه الزاوية، فانتهى إلى أن قدرتها على الاستقلال ترجع إلى احتفاظها بذاتيتها الصوتية في ذهن السامع ضمن الإطار العام لنظام اللغة، ومن هنا يتحقق لها استقلالها [24].

ولما كان من الممكن نطق الكلمة حرة، كانت ذات بعد فيزيائي محدد، وقد اتخذ ذلك مسوغاً لجعلها موضوعاً للتقسيم الصوتي في اللغة، ودراسة خصائصها الصوتية المتنوعة، من حيث نبرها وتوزيع الأصوات المكونة لها، وتوافق هذه الأصوات أو تنافرها، وغير ذلك من الخصائص – فالكلمة هي أصغر وحدة للكلام، وإن لم تكن أصغر وحدة للمعنى

أما من الجانب الصرفي أو النحوي، فإن المشكلة الكبرى التي تواجه حرية الكلمة او استقلالها في رأي أولمان – هي تلك المتعلقة بالافتقار المتأصل في الكلمات الوظيفية (Form words) أو الأدوات إلى ضمائم من كلمات أخرى تتصل بها وتكمل معناها ، فعنده أن هذه اكلمات ليست أكثر من وسائل وظيفتها التعبير عن العلاقت الداخلية بين أجزاء الجملة [25].

على أن ذلك لا يمنع من ظهور كثير من الأدوات مستقلة في النطق في سياق ما محتفظاً بقيمه الوظيفية التي يحملها في سياقات أخرى ، بل إنه في ظهوره مستقلاً يؤدي وظيفة لم تكن له في حالة الاتصال فهو بالإضافة إلى أنه أداة نحوية يعد جملة قائمة برأسها تؤدي دور نطق تام المعنى ، وفي أدوات الجواب والاستفهام والنفي خير مؤيد لهذا الكلام .

ولكن استقلال بعض الأدوات قد يكون نادراً أو متعذراً في الكلام العادي ، وذلك مثل أداة العطف (و) التي تظهر وكأنها جزء من الكلمة السابقة أو اللاحقة ، ولكنها تظل مع ذلك محتفظة بوحدتها بالنظر إلى البنية العامة لنظام اللغة ، إذ تعرف حقيقتها بمقابلتها بالكلمات التي تحمل الوظيفة النحوية نفسها وهي قادرة على الظهور مستقلة مكونة جملة (One sentence word) وذلك مثل أداتي العطف (أو) و(ثم) [26].

ويبقى الجانب الدلالي الذي يمثل التهديد الأكبر لاستقلال الكلمة في رأي اولمان فثمة من يزعم ان لا معنى للكلمات خارج موقعها في النظم وبمعزل عن السياق بمعناه الذي يشمل كل ما يتصل بالكلمة سواء في البنية اللغوية أم في العناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة[27].

ويبدو واضحاً أن ثمة مغالاة في هذا الفهم للمعنى الذي تحمله الكلمة ، إذ إن للكلمة معنى أو عدة معانٍ مركزية ثابتة تؤهلها لأن تصنف في المعجم وحدة لغوية مستقلة .

ويضاف إلى الانتقادات السابقة المتعلقة باستقلال الكلمة رأي للدكتور تمام حسان ، وهو أن تعريف بلومفيلد يحمل في طياته شيئاً من الغموض لأنه يصدق على الجمل ذات الكلمة الواحدة، من حيث هي صيغ حرة صغرى[28] .

والحق أن ليس هناك غموض في التعريف، إذ نعلم أن الكلمة المفردة قد تؤدي وظيفة الجملة فتسمى الجملة حينئذٍ بجملة الكلمة، فبين المصطلحين ما يسمى في عرف المناطقة بالعموم والخصوص الوجهي، فهما يجتمعان في جهة معينة حيث تكون الصيغة الصغرى التي تحمل معنى جملياً تاماً كلمة مستقلة أو حرة، وينفرد كل منهما في جهة أخرى تجعله أعم وأكثر أفراداً من نظيره، فكل ما تألف من صيغتين حرتين فأكثر بينهما علاقة إسنادية هو جملة لا كلمة، وكل صيغة حرة من أولئك هي كلمة، إن لم تكن حرة بالفعل فهي حرة بالقوة، وليست جملة، وهذا معنى قول (Robins):"الجملة هي صيغة لغوية حرة، والكلمة هي نسختها المصغرة ... فمعظم الكلمات يمكن أن تظهر جملاً أحادية الكلمة"[29] .

وبعد ... فإذا كان مطلوباً من الحدود الموضوعة للمصطلحات العلمية أن تصدق على جميع الأفراد التي تقع تحت هذا المصطلح أو معظم هذه الأفراد على الأقل، وأن تحيط بجميع الخصائص التي تميز هذه الأفراد، وأن تحتفظ بخطوط فاصلة بين مفاهيم هذه المصطلحات والمفاهيم التي يصدق عليها غيرها، فلا يقع تداخل في هذه المفاهيم يؤدي إلى اختلال في منهج التفكير، وأن تقدم تلك الحدود في أخصر عبارة وأوضحها، فإن التعريف الذي قدمه العالم الأمريكي بلومفيد للكلمة هو في رأيي أولى التعريفات بالقبول وأشملها عند التطبيق على اللغات، رغم ما ناله من انتقادات لا تكاد تقلل في علميته، فالكلمة هي أصغر صيغة حرة .

المراجع :

.....

1. أنيس، إبراهيم (الدكتور)، 1972 – دلالة الألفاظ، الطبعة الثالثة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة
2. الأشموني (أبو الحسن علي نور الدين ت 929هـ) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك .
3. حجازي، محمود فهمي، 1995 –مدخل إلى علم اللغة، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة .
4. حسان، تمام (الدكتور) 1955 م – مناهج البحث في اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .
5. أولمان، ستيفن، 1992 م دور الكلمة في اللغة، ترجمة : د. كمال بشر، مكتبة الشباب .
6. د. سوسير، فردينان، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة المطبعة، البولية، لبنان .
7. سيبويه(أبو البشر عمرو بن عثمان بن منبز، ت 180 هـ) كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت .
8. السيوطي (جلال الدين ت 911 هـ)، 1980 م – همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت .
9. ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله ت 769 هـ) 1964 م شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد مجيد الدين عبد الحميد، الطبعة 14، طهران، إيران .
10. فتدريس، جوزيف، 1950 م اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية .
11. وهبة، ومجدي، وكامل المهندس، 1984 م – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، بيروت .
12. يعقوب، إميل، وبركة، وبسام، وشيخاني، 1987 م قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان .
13. ابن يعيش (موقف الدين يعيش بن علي ت 643 هـ) شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة
14. Boomfield,L, Leonard. Language, compton . Printing .LTD . London
15. Robins, R,H, 1967 ‘ General linguistics, Fourth impression, Linguistics Library.